
غبار يدوّم غير بعيد
عاشور الطويبي
شعر
دار أركنو للطباعة
والنشر

غبار يدوّم غير بعيد

شِعر

الغلاف واللوحات الداخلية: عاشور الطويبي

دار أركنو للطباعة والنشر، ليبيا

2024

وصل الماءُ الجبلَ

رفرفتْ أوراق شجرة العرعر بعيداً

على مهل تمشي طفلة إلى البيت

في يدها سطل ماء

تومئ بعينها إلى ضحكات ملقاة

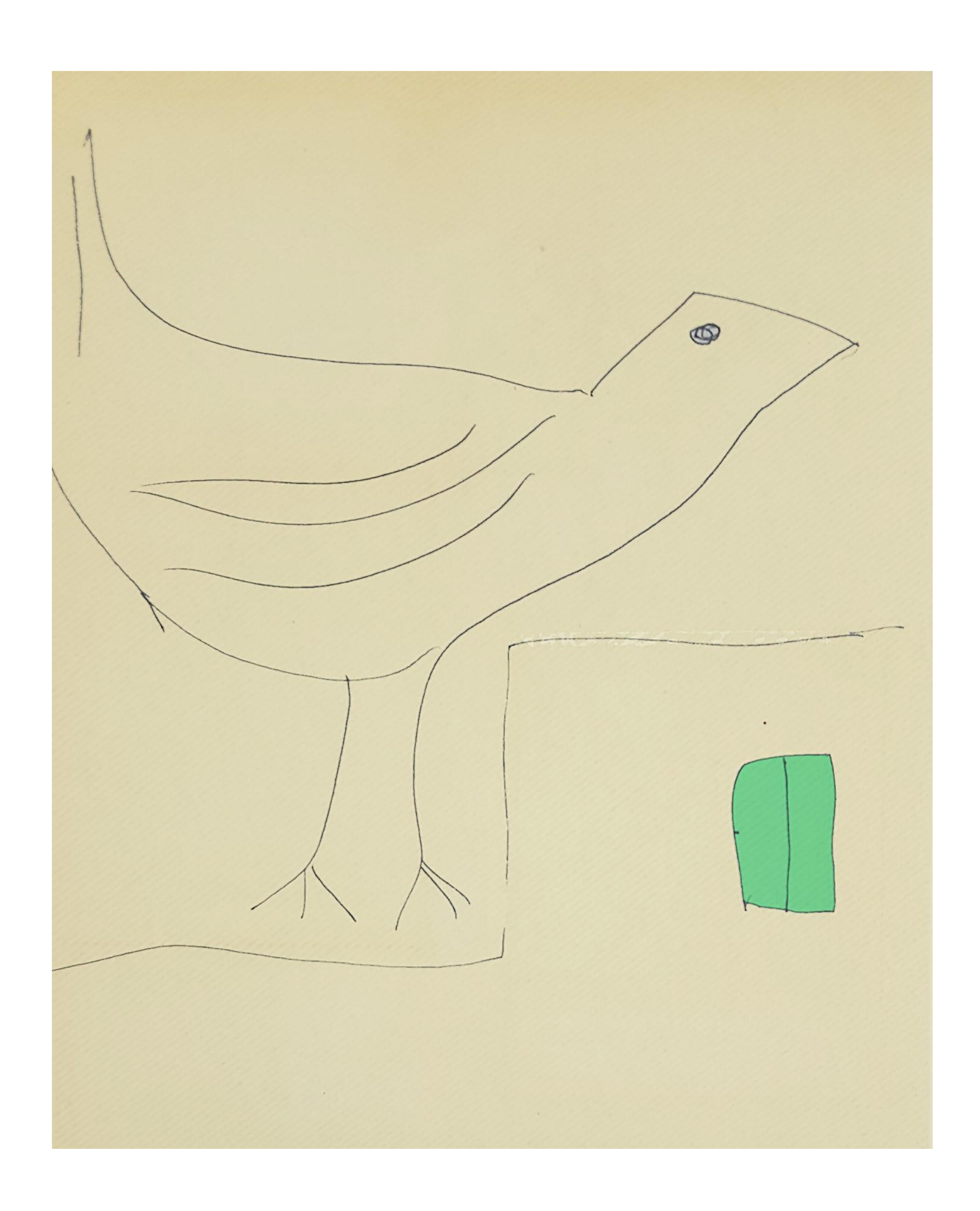
على مقعد الحديقة

جبلٌ آخر يلوح بين السحب

قمرٌ وضّاء يبتسم

طيّارة ورقية تصعدُ أعلى

وأعلى



هذا ما قالته الريح للعشبة الصغيرة حين مرّت بها:

"لقد أغمضَ الرجل عينيه وهو يجلس على مقعد الحديقة."

"رأيت السيدة ذات الأنف الصغير، تفتح حقيبة يدها،

منها حلّقتْ فراشات ثم حطّت على طاولة المطبخ."

"حتى ذاك الضفدع الذي حدثتكِ عنه من قبل،

كان يلامس بتلات الفليّة، في البستان الشرقي."



أخذوا الربيع من جذوع الأشجار

أخذوا ظلّ العشية من هجعة الماعز

أخذوا الأغنية من قدميّ الجالسة قبالة البحر

أخذوا بياض الشراع من خيطٍ يتدلّى من السماء

أخذوا حشرجة الميّت من حوصلة طائر

أخذوا صيحات المدن الغارقة من غياب مديد

لكنهم تركوا وراءهم:

شرانق تتوهج تحت شمس حارقة

رملاً عطشان تسفّه الريح

ضفيرة عروس تفوح بزيت الزيتون

حذاءً أحمر صغيرا بخيوط زرقاء

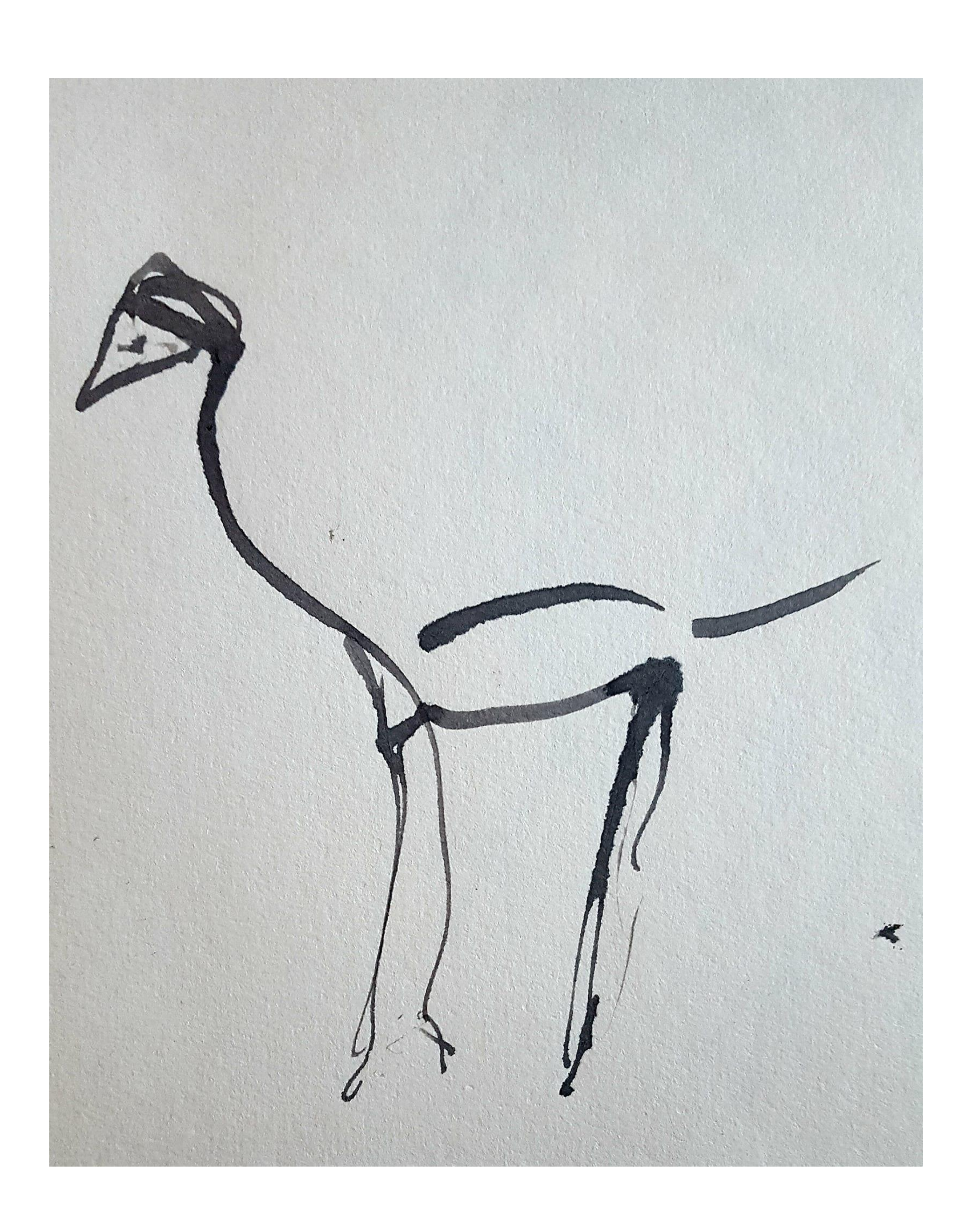


يدي لن تمسك بقرن الوعل الحرون

يمكنها فقط مراوغته قليلاً إلى أن يصل الظلّ ساق الحارس

في الساحة العامة يركض الأطفال ولقالق الصيف القديم

لم أكن أعلم أن الدرب مليء بالجراح والصرخات



الشجرة تحرس الباب

الطائر يحرس الشجرة

الغيمة تحرس الطائر

الريح تحرس الغيمة

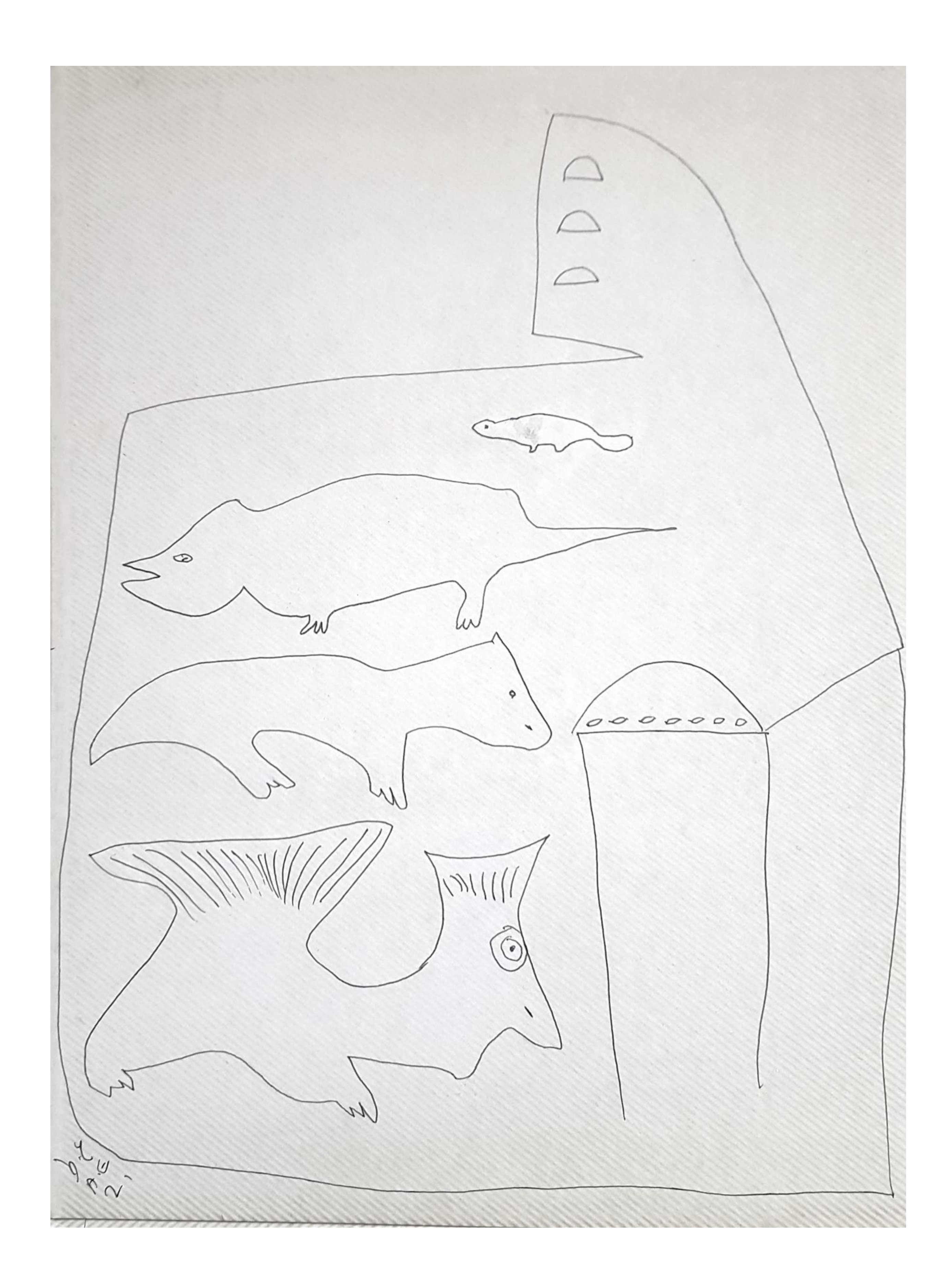
الثور يحرس الريح

السمكة تحرس الثور

الشمس تحرس السمكة

الطفل والطفلة يحرسان الشمس

المرأة تنثر البذور في الهواء



تحدق حبات المشمش في مقاعد الساحة الفارغة

في المصباح وفي عش طائر القصبي

سكينة عميقة تغمر حبات المشمش القديمة والجديدة

تجعلها تميل قليلاً على كتف الحارس العجوز

يرفع رأسه بابتسامة الرضا



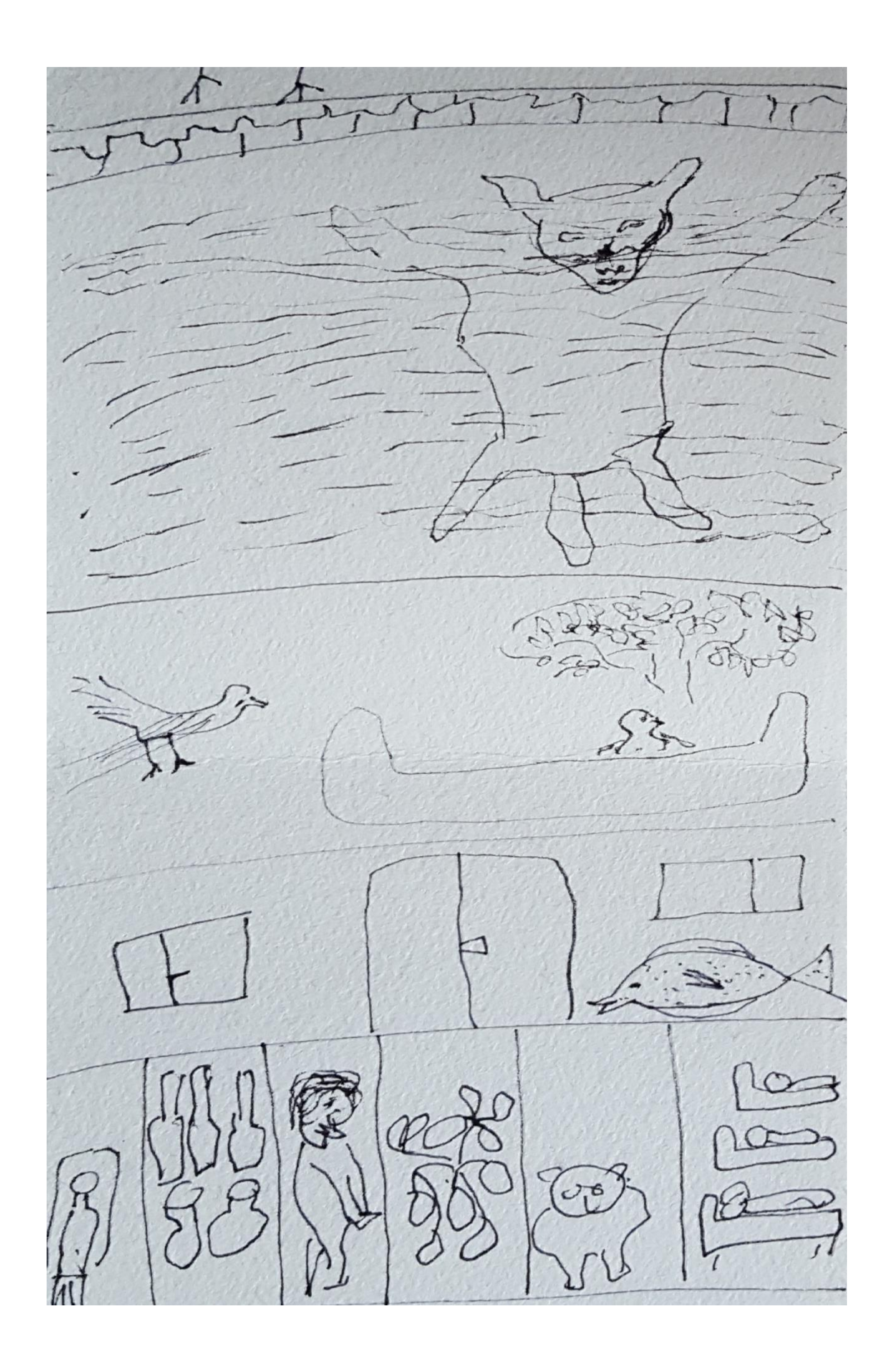
"الغائب لا يعود" تقول الشجرة للثمار

"ها قد فار الماء وفاحت رائحة الخبز

لنجلس تحت تلك العريشة

نقطف ظلال الأشباح، نصنع منها قلادة

نعلقها في جيد هذه الظهيرة الحارة" يقول المسافر لحصانه



فوق السور الحجري بين سعف النخلة

عبرت طيور خطّيف ثقيلة كأنها تحمل أوجاعا

تقول النخلة:

"لقد مرّتْ بساحات قتالٍ

بدروب متربة

ببشرٍ يستغيثون

ببيوت مهدّمة

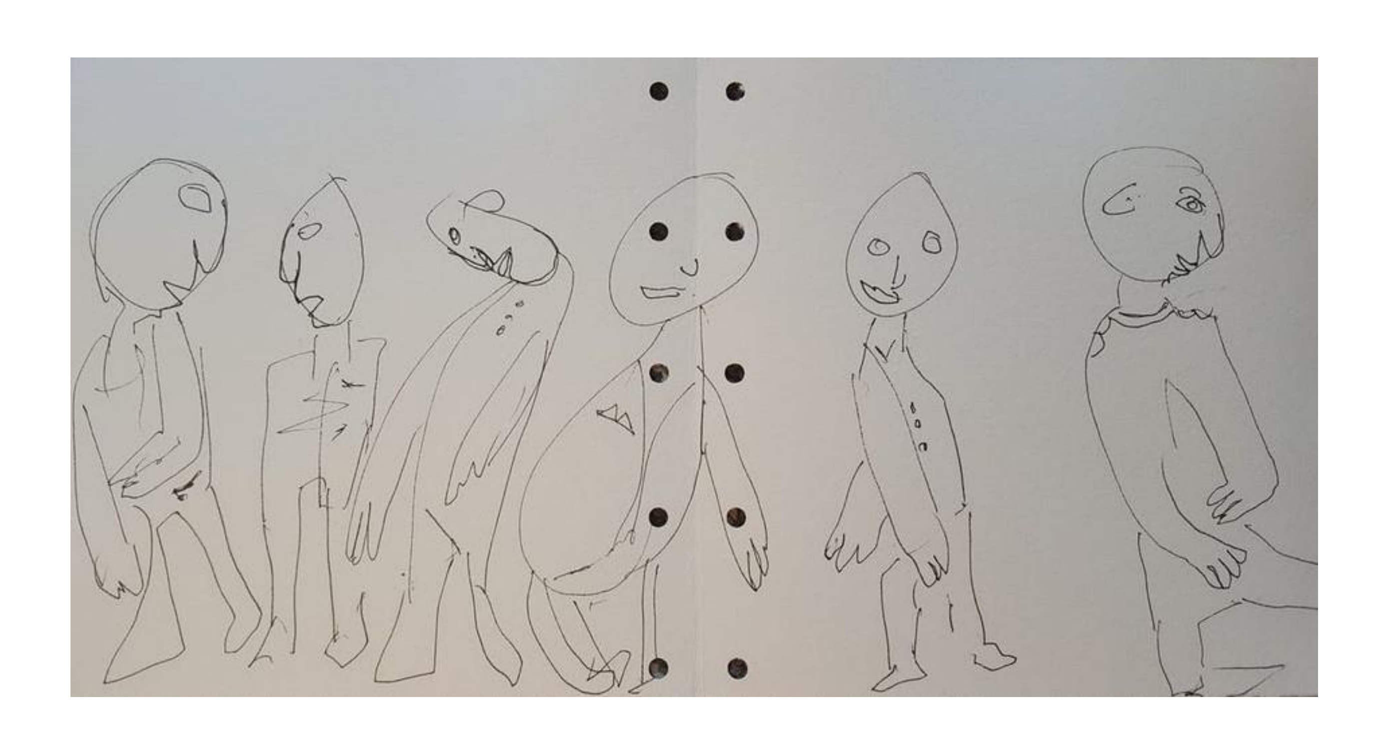
برايات تقطر دماً

بكلمات مبتورة الأطراف

بغناء يرتعش بماء عكرٍ

بقتلى منثورين في أرضٍ تحيط بها ظلمة شديدة.

لن تهدأ قلوبها أبداً."



ها قد ملأتُ قبضتي بضوء القمر

سآخذه إلى جدول صغير

أمسح عن جسده التعب والخوف

سأقفُ به تحت نخلة البيّوضي

ألفّ رباطاً من الضحكات حول خصره

ثم أتركه يتأرجح مع نسيم المساء الخفيف



المدينة التي مدّت ذراعها داخل البحر

رشّت حبقها على القاعدين والعابرين

على أسوار البيوت العالية

وعلى الخدود التي تلمع وراء الشبابيك

هي ذات المدينة التي لم تعرف أبداً

كيف جاءت كلّ

هذه الفراشات إلى ساحة ليس فيها سوى

نخلات بعدد الشهداء وأصداء صرخات خرساء



أعطيتَ ظهرك للجبل ولشجرات الأثل

ثم مضيتَ إلى ساحلٍ لا ظلّ لك فيه

وإلى بحر قواربه لا تعود إلى بيوتها

اقضِ أيامك بعدّ حجارة نخرتها ريح القبلي

أو إن شئتَ اتخذ مقعدك على رصيف مهملٍ

رمّمْ ما استطعتَ من كسور الكلمات

لقد أعطيت ظهرك لجبل ولشجرات أثل

لا مفرّ



لقد فتن القارب الورقي السمكة ذات الذيل المخطّط

لا تسمح لغيرها بالاقتراب منه

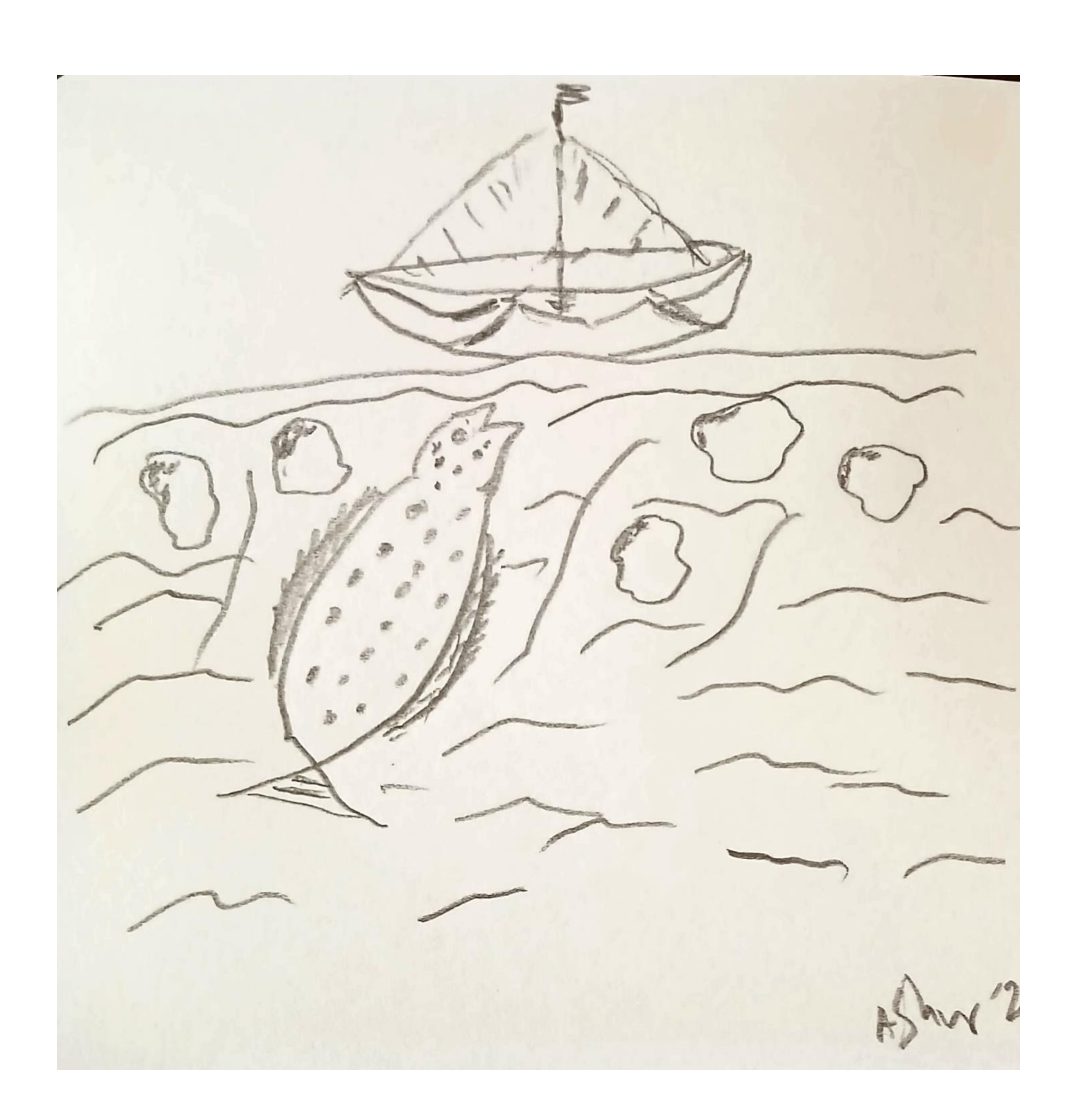
تزينه بخرزات من ضوء الشمس

بأعشاب طافية خضراء صفراء

وتؤنسه بأغاني الجنوب العذبة

قاربٌ أبيض يهتزّ جهة اليمين

وجهة الشمال



الكلّ شاهد المرأة وفرسها قادمتين

الخنفساء التي تعرج في مشيتها

السحلية ذات التجاعيد الكثيرة حول الرقبة

الفأر النطّاط الذي بيته عند الكثيب قبالة الصخرة العالية

الصمغ اللماع على جذع شجرة الأثل

الرمال التي مدّت جسدها قريباً من الأفق

الطائر بجناحين أسودين وبطن بيضاء

الضبّ المستلقي قرب حفرته في ظلّ شجيرة الرتم

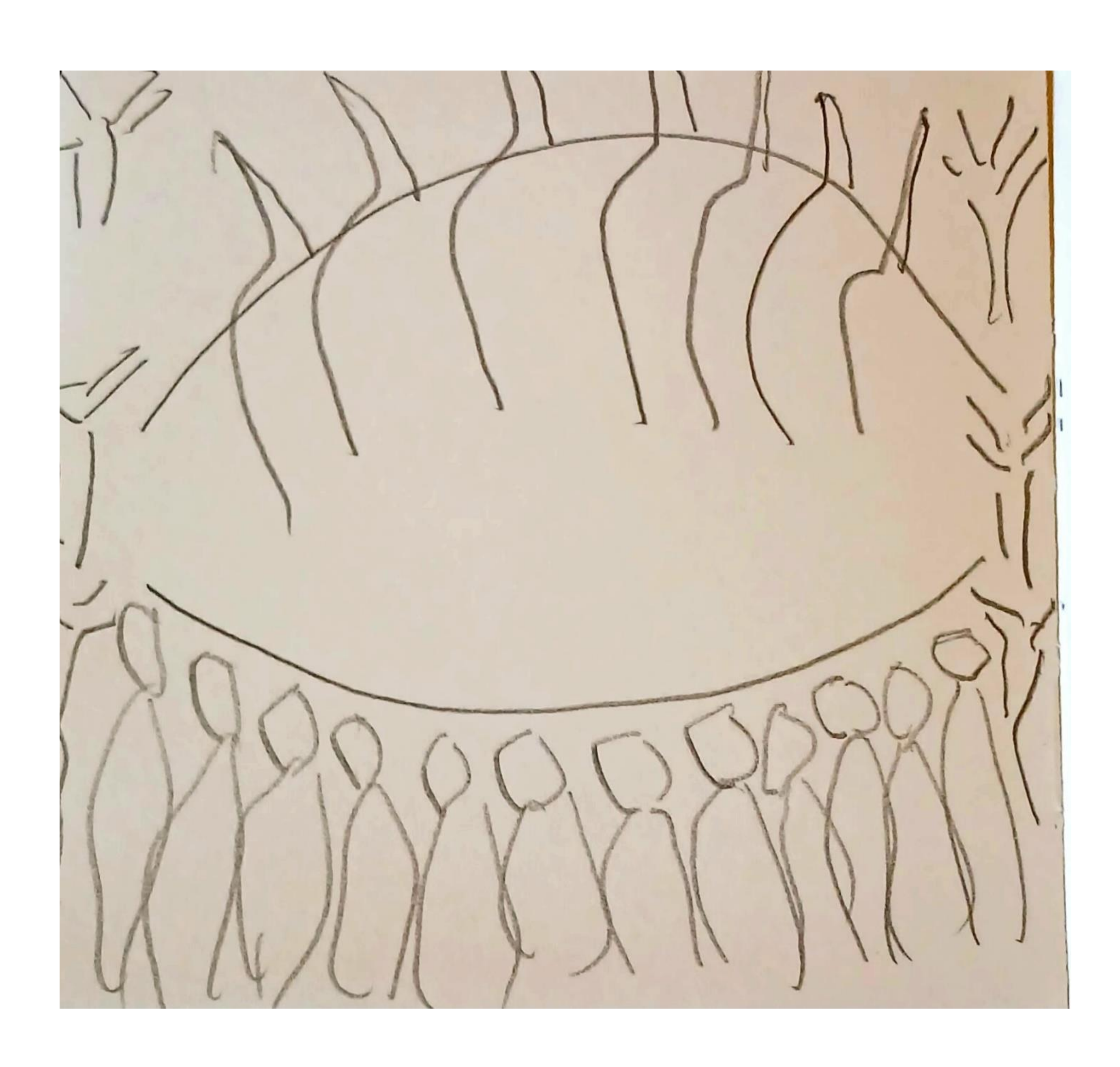
الشمس التي تصعد من دَرجٍ إلى دَرج

السحب التي تمشي على مهل ولا تلامس بعضها

تقترب المرأة تقترب الفرس

همهمة حمحمة

همهمة حمحمة



عيدان

القصب جفّت واصفرّت

حسب الوادي غيوم عابرات تطاردها

طيور خطّيف تفكّ بمناقيرها

أزرار سماء شاسعة

حسبه ظلال نخيلة وحصى

ينصت لغناء يأتي من صحراء موحشة

حسبه صلوات تتأرجح بين غسق

وغسق



النغمات التي سقطتْ من يد العازف

بعضها أخذت طريقها إلى صحن مليء بالزبيب

بعضها وقفت عند باب غرفة الجلوس

بعضها لم تغادر ياقة القميص

سيذهب العازف إلى قريته

ستغتسل النغمات بمريميّة النوافذ الظليلة

وستخرج الكلمات من حجر وعين ماء



الغيوم اقتربت من ظلال العريشة

حطّت قطرات زرقاء على عشّ طائر

تنصتت على حديث رجل وامرأة

مشت فوق ولد يجرُّ عربة معبأة بالنعناع

غبارٌ يدوّم غير بعيد!


عاشور بشير

هكذا يتقرفص الألم

هكذا تمدّ الوريقات الصفراء أعناقها في الهواء

لعلّ الريح تأتي لتمسّد أجسادها الهشّة

لعلّ المساء القصير يخطف من صدورها زفرة أو زفرتين

لكن الشجرة العالية رأت ما لم تر سنابل القمح

حلقت الطيور بأجنحة تلمع في الفضاء

دوّم في الهواء غبار ثمّ حطّ على حجارة ورمل

"هكذا يقترب على مهلٍ ليل هذا اليوم" قالت الشجرة



اتكأت العشبة بساقها النحيلة على خدّ النافذة

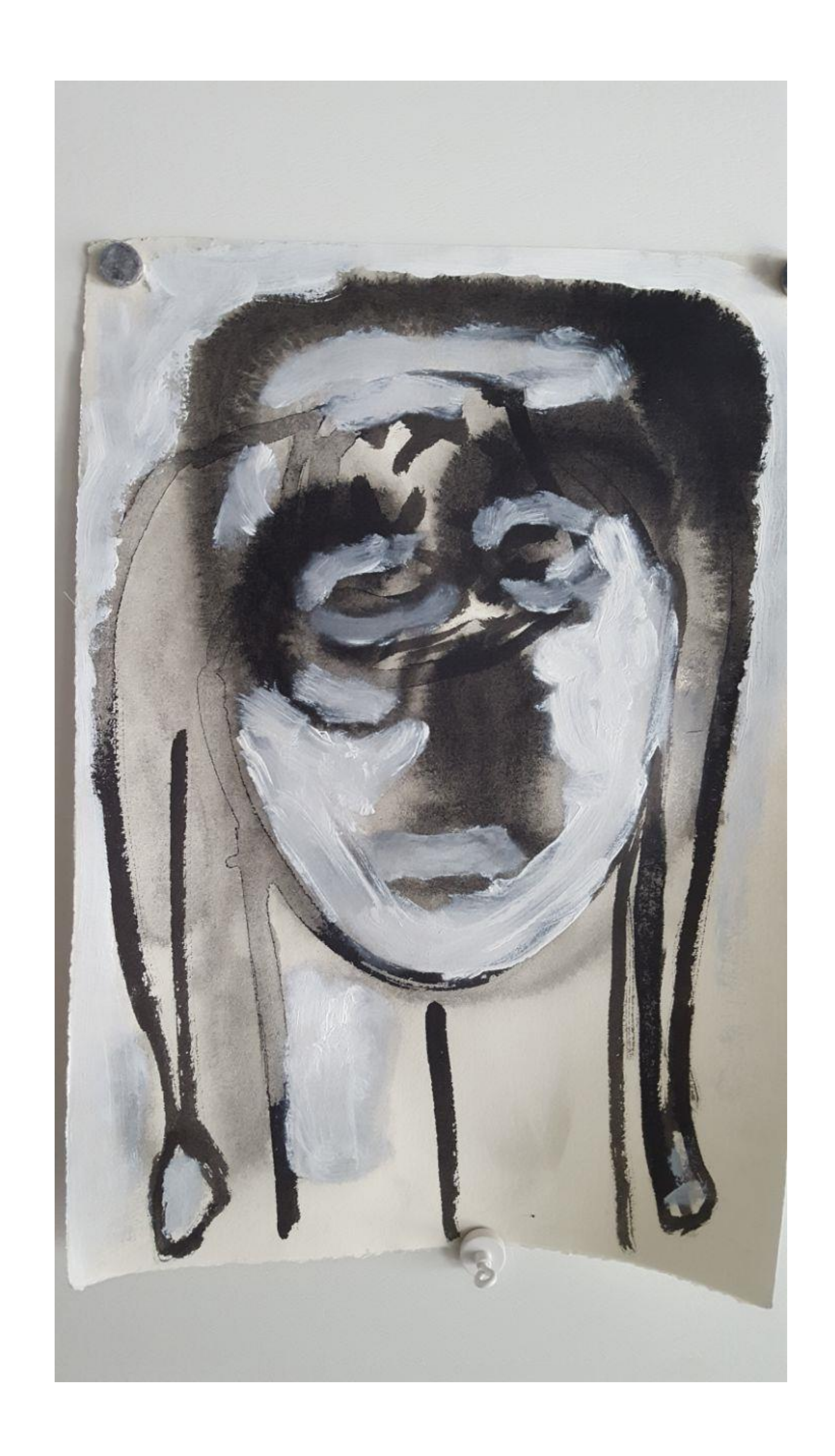
تتابع بفتور ما يفعل الطائر الذي حطّ على الأريكة

صوت امرأة ورائحة قهوة

جناحان يهتزّان

يدٌ تومئ في الهواء

غناء شجيّ



ثقيلة الأوراق التي يسقطها الخريف على كتفيّ

كلّ ورقة حياة كاملة

ثقيلة الأسماك التي تحلم بالأشجار وسراب الصحراء

كلّ سمكة تخبئ قفزتها في عشّ طائر

الريح وحدها تعرف إلى أين تهرب ظلال الشجرة

أين تأتيها الشمس تغربل قلبها من الرمل والأحزان

أين يفرش الحكّاء لحافه في الليالي المقمرة

أين يخيط المطر أسماء الناس الجديدة



هل تحنّ إلى قريتك؟

كم تبعد قريتك؟

هل حقّاً تأتيها الرياح من أركانها الأربعة؟

هل تفيض ساقيتها بدموع العابرين؟

كيف حين يصلها غريب لسانه يصير أخرس؟

هل حقّاً تغرب شمسها على زعنفة حوت عظيم؟

هل يضع أهلها على صدورهم وشوما تضيء مثل العنبر؟

هذه حفنة من تراب قريتي

خذها!

هذا قرن خروب من قريتي

خذه!


MY
FIG
TREE

أنا ولدتُ في بيت طيني على ضفّة نهر

أنا ولدتُ في كوخ خشبي على حافة مدينة

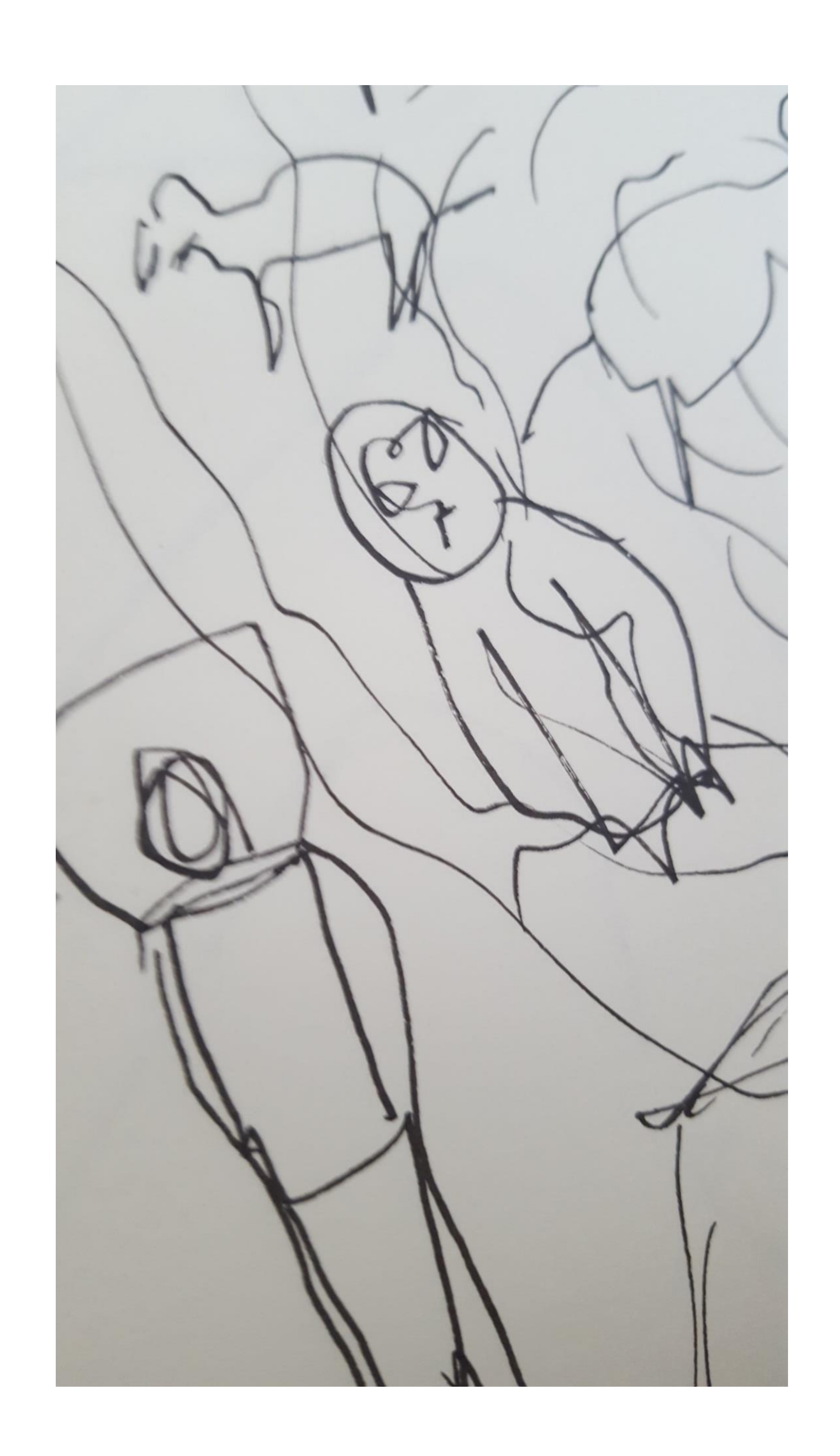
أنا تعلمتُ:

لغة الطير، غضب الريح ألفة الشجرة أغنية السمكة رقص الألوان تحت القمر

أنا تعلمتُ:

صيد الحمام، ركض العجلات ضجيج المطابخ نقيق الضفادع نزال الشوارع

البكاء وحيداً الفرار من كلّ شيء الموت بلا شهود النوم في الحافلة



"ألقتْ الغيمة جسدها فوق بنادق ملقاة على الرمل

كلّ بندقيّة تحمل أثر قاتل ودم قتلى

المرأة تنتظر عند باب المطبخ حاملة عشاء لموتى يصرخون

لماذا النافذة التي تطلّ على خراب عظيم تضحك لزرقة السماء؟!

ها قد استيقظ الجندي من سُكره في يده وردة حمراء ذابلة

الكؤوس فارغة والدم تخثّر على الشفاه"

تخرج الجوقة في هدوء وصمت



-ماذا في سماء هذا المساء؟

-دخان نحيل أبيض يصعد من مجمرة

نوارس تقترب وتبتعد من قارب صيد صغير

كلمات مخمور تتلوّى مليئة بالحزن

فراشات تقف على قمّة شجرة عالية

انتظر لا تذهب!

سيغمض الشاعر عينيه ويرفع يديه في الهواء